النِّسَاءُ فِي القُرْآنِ

السَّيِّدَةُ سَارَّةُ
و
السَّيِّدَةُ هَاجَرُ

تأليف: محمد المطارقي

رسوم: محمد نبيل

تدقيق: قسم اللغة بالدار

إشراف فني وجرافيك: سمر قناوي

المطارقي، محمد.

السيدة سارة والسيدة هاجر

تأليف/ محمد المطارقي، ـ الجيزة

شركة ينابيع، ٢٠١٦

ص؛سم ـ (سلسلة النساء في القرآن)

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٩٨ ٣ ٥٨٠

١- قصص الأطفال.

٢-قصص القرآن

٣- النساء في القرآن

أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدقي-الجيزة

رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٠١٧٢

السَّيِّدَةُ سَارَّةُ عَلَيْهَا السَّلامُ

هَلْ تَعْلَمْ يَا صَدِيقِي أَنَّ السَّيِّدَةَ الجَلِيلَةَ سَارَّةَ قَدْ هَاجَرتْ بِرُفْقَةِ زَوْجِهَا نَبِيِّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِ أَخِيهِ لُوطٍ عَلَيْهِمَا السَّلامُ.. وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ وَلَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ الشَّدَائِدَ وَالأَهْوَالَ.. وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. خَرَجُوا إِلَى مِصْرَ.. وَمَا كَادَتْ أَقْدَامُهُمْ الشَّرِيفَةُ تَطَأُ أَرْضَ مِصْرَ حَتَّى بَلَغَ مَسَامِعَ فِرْعَونَ (عَنْ



طَرِيقِ جَوَاسِيسِهِ) أَنَّ هُنَاكَ امْرَأَةً لَيْسَتْ لَهَا مَثِيلٌ فِي جَمَالِهَا.. فَأَمَرَ فِرْعَونُ بِإِحْضَارِهَا لِيَتَمَتَّعَ بِهَا.. فَقَدْ كَانَتْ أَجْمَلَ نِسَاءِ الأَرْضِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ... لَكِنَّ السَّيِّدَةَ سَارَّةَ الْـمُؤْمِنَةَ العَفِيفَةَ اسْتَعَانَتْ بِاللهِ، وَدَعَتِ اللهَ ﷻ أَنْ يَحْفَظَهَا مِنْ شَرِّ هَذَا الفَاجِرِ، وَاسْتَجَابَ اللهُ لَهَا؛ فَلَمَّا حَاوَلَ فِرْعَونُ الاقْتِرَابَ مِنْهَا تَيَبَّسَ جَسَدُهُ، وَلَـمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَرِّكَ سَاكِنًا، فَاسْتَغَاثَ بِهَا أَنْ تَدْعُوَ رَبَّهَا لِيُعِيدَ إِلَيْهِ العَافِيَةَ، وَوَعَدَهَا أَنَّهُ لَنْ يُحَاوِلَ النَّيْلَ مِنْهَا، فَدَعَتْ رَبَّهَا أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ عَافِيَتَهُ، فَشُفِيَ، وَلَكِنَّهُ حَاوَلَ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَدَعَتْ عَلَيْهِ فَتَيَبَّسَ جَسَدُهُ.. وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى.. فَأَشَاحَ إِلَيْهَا بِيَدِهِ فِي غَضَبٍ قَائِلًا: لَقَدْ جِئْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، أَخْرِجُوهَا. وَأَمَرَ بِبَعْضِ العَطَايَا لَهَا، وَكَانَتْ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الهَدَايَا السَّيِّدَةُ «هَاجَرُ» عَلَيْهَا السَّلامُ، وَالَّتِي صَارَتْ جَارِيَةً لِلسَّيِّدَةِ سَارَّةَ.



عَادَتِ السَّيِّدَةُ سَارَّةُ إِلَى زَوْجِهَا سَالِـمَةً.. وَمَضَتْ سَنَوَاتٌ وَسَنَوَاتٌ.. وَتَقَدَّمَ خَلِيلُ اللهِ إِبْرَاهِيمُ فِي السِّنِّ، وَلَـمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَبْنَاءٌ مِنْ زَوْجَتِهِ سَارَّةَ.. لَكِنَّ اللهَ ﷻ أَرَادَ أَنْ يُبَشِّرَهُ بِالوَلَدِ.. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ثَلاثَةٌ مِنَ الـمَلائِكَةِ فِي صُورَةِ بَشَرٍ، فَقَامَ خَلِيلُ اللهِ بِذَبْحِ عِجْلٍ وَإِعْدَادِهِ وَقَدَّمَهُ لَهُمْ.. لَكِنَّ أَيَادِيهِمْ لَـمْ تَمْتَدْ إِلَى الطَّعَامِ.. فَتَوَجَّسَ مِنْهُمْ وَسَأَلَهُمْ: لِـمَ لا تَأْكُلُونَ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ مَلائِكَةٌ لا نَأْكُلُ وَلا نَشْرَبُ، وَقَدْ أَرْسَلَنَا اللهُ إِلَيْكَ لِنُبَشِّرَكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ إِسْحَاقُ، وَسَوْفَ يَكْبَرُ وَيُنْجِبُ وَلَدًا اسْمُهُ يَعْقُوبُ.



فِي هَذِهِ اللَّحظَاتِ دَخلَتِ السَّيِّدَةُ سَارَّةُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَهِيَ تَضْحَكُ مُتَعَجِّبَةً قَائِلَةً: أأَلِدُ وَأَنَا سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ، وَزَوْجِي قَدْ صَارَ شَيْخًا طَاعِنًا فِي السِّنِّ.. إنَّ هَذَا لأَمْرٌ عَجِيبٌ!

أَجَابَتْهَا الْـمَلائِكَةُ: أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ.. رَحْمةُ اللهِ وَبرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ. فَاللهُ ﷻ هُوَ القَادِرُ الْـمُقْتَدِرُ الَّذِي لا يُعْجِزُهُ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ.. وَهَكَذَا صَارَتِ السَّيِّدَةُ العَجُوزُ أُمًّا لإِسْحَاقَ الَّذِي صَارَ نَبِيًّا فِيمَا بَعْدُ.. ثُمَّ رَأَتْ حَفِيدَهَا يَعْقُوبَ وَالَّذِي صَارَ نَبِيًّا أَيْضًا.



السَّيِّدَةُ هَاجَرُ عَلَيْهَا السَّلامُ

أَيُّ أُمٍّ هَذِهِ الَّتِي اسْتَطَاعَتْ بِمُفْرَدِهَا أَنْ تَصْمُدَ فِي وَجْهِ الرِّيحِ، وَتَتَحَدَّى أَهْوَالَ الصَّحرَاءِ وَقَسْوَتَهَا، وَبِأَيِّ أَدَاةٍ كَانَتْ تَسْتَطِيعُ السَّيِّدَةُ العَظِيمَةُ هَاجَرُ أَنْ تَنْجَحَ فِيمَا أُوكِلَ إِلَيْهَا مِنْ أَمْرٍ، لاشَكَّ أَنَّهَا فِي بَادِىءِ الأَمْرِ أَخَذَتْهَا الحِيرَةُ، وَلَـمْ تَعْرِفْ مَا الدَّاعِي إِلَى إِحْضَارِهَا إِلَى هَذَا الـمَكَانِ الـمُوحِشِ؛ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنِيسٌ غَيرُ الرِّمَالِ الَّتِي تُعَانِقُ الأُفُقَ.. وَحِينَ تَرَكَهَا خَلِيلُ اللهِ إِبْرَاهِيمَ وَانْصَرَفَ هَرْوَلَتْ خَلْفَهُ لِتَسْتَفْسِرَ عَنْ سِرِّ وُجُودِهَا هُنَا وَحْدَهَا، لَـمْ يَنْطِقْ نَبِيُّ اللهِ إِبْرَاهِيمُ، فَكَرَّرَتْ هَاجَرُ السُّؤَالَ مَرَّةً ثَانِيَةً وَثَالِثَةً، وَلَـمَّا لَـمْ تَتَحَرَّكْ شَفَتَاهُ اسْتَطَاعَتْ هِيَ أَنْ تُدْرِكَ الـمَغْزَى



مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ.
وَالْـمُؤَكَّدُ أَنَّ زَوْجَهَا خَلِيلُ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَقْصِدَ إِيذَاءَهَا أَوْ مُعَاقَبَتَهَا لِـمُجَرَّدِ أَنَّهَا أَنْجَبَتْ لَهُ طِفْلًا رَائِعَ الحُسْنِ. أَلَـمْ يَكُنْ يَتَمَنَّى وَيَشْتَاقُ وَيَدْعُو اللهَ وَهُوَ الَّذِي بَلَغَ مِنَ العُمْرِ (86 عَامًا) وَلَـمْ يَكُنْ قَدْ أَنْجَبَ بَعْدُ مِنَ السَّيِّدَةِ سَارَّةَ (أَنْجَبَتِ السَّيِّدَةُ سَارَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا قَرَأْنَا فِي قِصَّتِهَا السَّابِقَةِ). هَاجَرُ ـ أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ وَالصَّدِيقَاتُ ـ هِيَ أُمُّ العَرَبِ، وَالَّتِي تَنْتَسِبُ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ.



لَـمْ يَلْتَفِتْ خَلِيلُ اللهِ إِبْرَاهِيمُ إِلَى زَوْجَتِهِ هَاجَرَ، وَلَـمْ يُجِبْهَا، لَكِنَّهَا أَدْرَكَتْ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ ﷻ، فَقَالَتْ لَهُ: ءَاللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ أَجَابَ: نَعَم.



تَطَلَّعَتْ بِعَيْنَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ بِمُنْتَهَى الصِّدْقِ:

إِذَنْ،لَنْ يُضَيِّعَنَا.

وَانْصَرَفَ إِبْرَاهِيمُ، وَلَمْ يَعُدْ أَمَامَ الأُمِّ الْـمُؤْمِنَةِ إِلَّا أَنْ تَعُودَ إِلَى وَلِيدِهَا كَيْ تَقُومَ بِأَمْرِهِ، وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الْـمَدَى الْـمُطْلَقِ الَّذِي لا يَحْمِلُ غَيْرَ هُبُوبِ الرِّيَاحِ الـمُحَمَّلَةِ بِالرِّمَالِ.

اطْمَأَنَّ قَلْبُ السَّيِّدَةِ هَاجَرَ - عَلَيْهَا السَّلامُ - بِمَوْفُورِ الإِيمَانِ الَّذِي رَاحَ يَسْرِي بِقُوَّةٍ فِي جَمِيعِ أَوْصَالِهَا.. كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَى رَضِيعِهَا، تَتَأَمَّلُ مَلامِحَهُ الرَّائِعَةَ، كَمْ تَشْعُرُ نَحْوَهُ بِحُبٍّ جَارِفٍ، إِنَّهُ وَحِيدُهَا، أَنِيسُهَا بِرَغْمِ كَوْنِهِ رَضِيعًا، فَلْذَةُ كَبِدِهَا، وَقِطْعَةٌ مِنْ قَلْبِهَا، بَلْ هُوَ حَبَّةُ القَلْبِ الَّتِي تَرْوِي جَسَدَهَا بِمَاءِ الحَيَاةِ، كَانَتْ بِمُنْتَهَى الحَنَانِ تَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهَا، تُرْضِعُهُ مِنْ لَبَنِهَا وَهِيَ تَدْعُو اللهَ العَلِيَّ القَدِيرَ أَنْ يَحْفَظَهُ لَهَا.

اسْتَنْفَذَتِ السَّيِّدَةُ هَاجَرُ كُلَّ مَا مَعَهَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ.. لابُدَّ لَهَا مِنَ الغِذَاءِ حَتَّى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَنْهَضَ بِرِعَايَةِ الرَّضِيعِ، تَيَبَّسَ حَلْقُهَا، وَجَفَّ ثَدْيُهَا.. الطِّفْلُ الوَلِيدُ رَاحَ فِي نَوْبَةِ بُكَاءٍ مُسْتَمِرَّةٍ وَهُوَ يَضْرِبُ بِأَطْرَافِهِ الرَّقِيقَةِ فِي الهَوَاءِ.. وَصَارَ وَجْهُهُ بِلَوْنِ الدَّمِّ، لَـمْ تَسْتَطِعْ أُمُّهُ إِسْكَاتَهُ، حَاوَلَتْ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ فَلَمْ يَصْمُتْ.. إِنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى غِذَاءٍ.. وَالجُوعُ مَلْهَبَةٌ، وَهِيَ لا تَعْرِفُ مَاذَا يُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَفْعَلَ.. هَرْوَلَتْ نَحْوَ جَبَلِ الصَّفَا لَعَلَّهَا تَجِدُ مَنْ يُعِينُهَا عَلَى مَا هِيَ فِيهِ.. لَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ، السُّكُونُ يُخَيِّمُ عَلَى الـمَكَانِ.

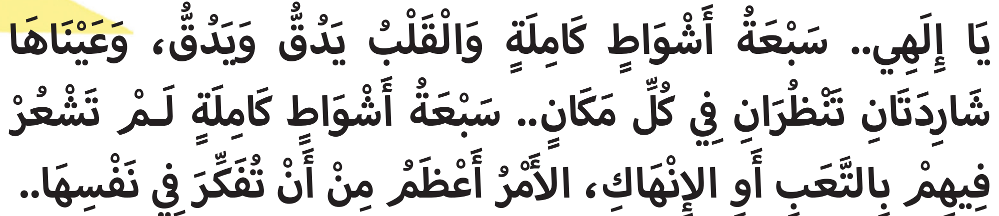
هَرْوَلَتِ السَّيِّدَةُ هَاجَرُ – عَلَيْهَا السَّلامُ - نَحْوَ جَبَلِ الـمَرْوَةِ، لَـمْ يَكُنْ أَحْسَنَ حَالًا مِنْ أَخِيهِ، لَيْسَ هُنَاكَ غَيْرُ السُّكُونِ يُخَيِّمُ عَلَى الـمَكَانِ.. وَالحِجَارَةِ الَّتِي تُطِلُّ عَلَيْهَا مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ.

يَا إِلَهِي.. سَبْعَةُ أَشْوَاطٍ كَامِلَةٍ.. تُهَرْوِلُ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ..



الحَرُّ يَلْفَحُ وَجْهَهَا، وَحَبَّاتُ العَرَقِ تَنْهَمِرُ بِغَزَارَةٍ، وَجَسَدُهَا كُلُّهُ يَنْتَفِضُ، عَيْنَاهَا تَرَكِّزَانِ مِنْ بَعِيدٍ عَلَى وَلِيدِهَا الَّذِي تَرَكَتْهُ يُصَارِعُ الجُوعَ وَآلامَهُ.. تَخْشَى أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهِ سَبْعٌ مِنْ وُحُوشِ الصَّحَرَاءِ، وَيَحْمِلَهُ بَيْنَ أَنْيَابِهِ وَيَهْرَبَ.



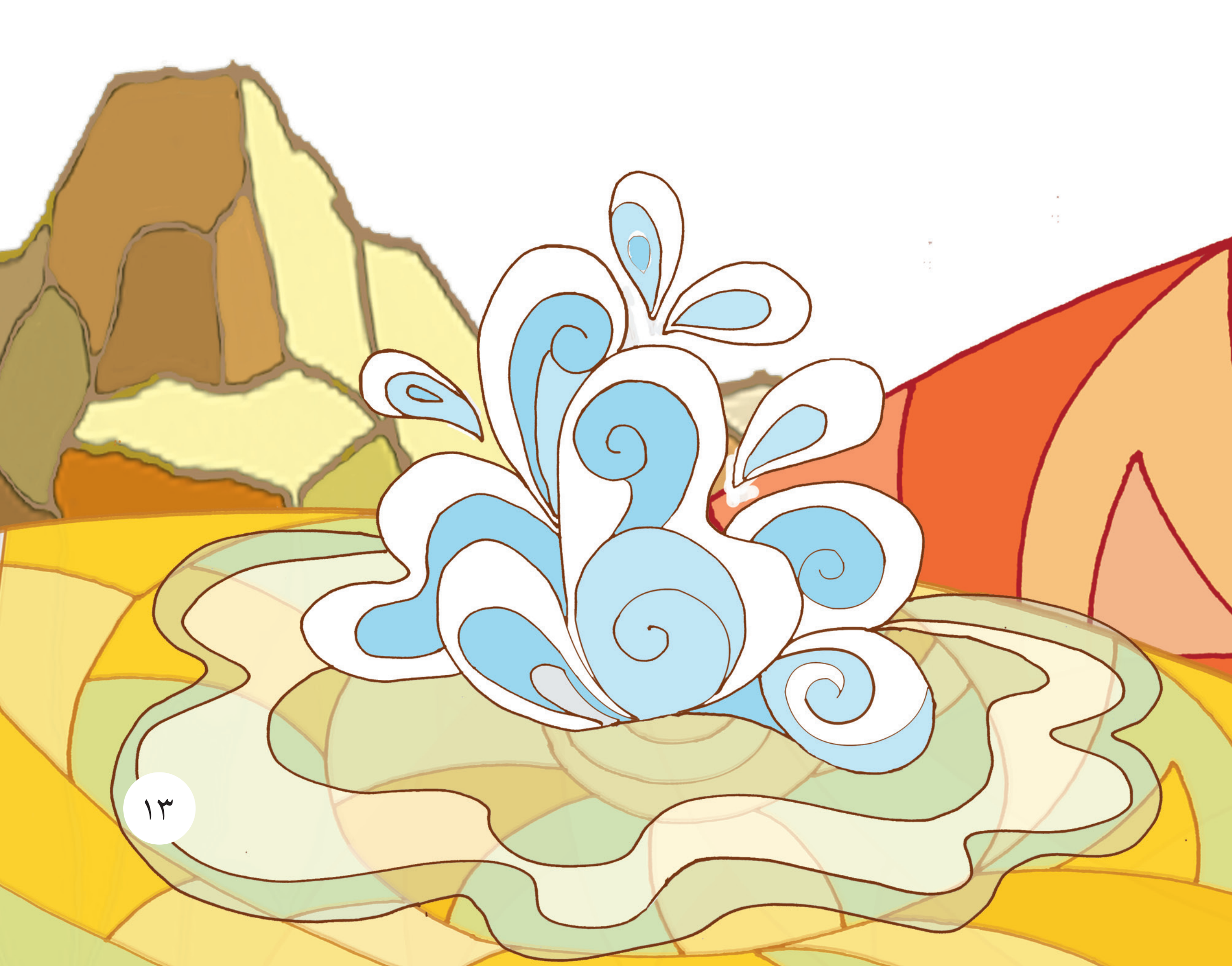

يَا إِلَهِي.. سَبْعَةُ أَشْوَاطٍ كَامِلَةٍ وَالْقَلْبُ يَدُقُّ وَيَدُقُّ، وَعَيْنَاهَا شَارِدَتَانِ تَنْظُرَانِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.. سَبْعَةُ أَشْوَاطٍ كَامِلَةٍ لَمْ تَشْعُرْ فِيهِمْ بِالتَّعَبِ أَوِ الإِنْهَاكِ، الأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُفَكِّرَ فِي نَفْسِهَا..

فَجْأَةً، حَدَقَتْ بِعَيْنَيْهَا نَحْوَ وَلِيدِهَا الَّذِي يَرْقُدُ فَوْقَ حَبَّاتِ الرِّمَالِ، إِنَّ هُنَاكَ حَرَكَةً تَقْتَرِبُ مِنْ أُذُنَيْهَا، دَبِيبُ قَلْبِهَا وَدَقَّاتُهُ الْمُتَلاحِقَةُ الْمُرْتَفِعَةُ تَكَادُ تُغَطِّي عَلَى مَسَامِعِهَا، وَضَعَتْ

هَاجَرُ رَاحَتَهَا اليُمْنَى عَلَى أُذُنِهَا تَتَسَمَّعُ.. وَهَمَسَتْ: «صِه...»! اتَّسَعَتْ عَيْنَا السَّيِّدَةِ هَاجَرَ، انْبَسَطَتْ أَسَارِيرُ وَجْهِهَا.. غَمَرَتْهَا الفَرْحَةُ، لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ مَلَكًا ضَرَبَ الأَرْضَ بِجَنَاحِهِ، انْبَثَقَتِ الْـمِيَاهُ مِنْ أَعْمَاقِ الأَرْضِ.

رَكَضَتِ السَّيِّدَةُ هَاجَرُ نَحْوَ وَلِيدِهَا وَهِيَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْهَا بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ لِخَالِقِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

الْـمِيَاهُ العَذْبَةُ تَتَدَفَّقُ بِقُوَّةٍ، انْكَبَّتِ السَّيِّدَةُ هَاجَرُ عَلَى الْـمَاءِ.. بِكِلْتَا يَدَيْهَا رَاحَتْ تَدْفَعُ الرِّمَالَ؛ تَصْنَعُ جُدْرَانًا حَوْلَ العَيْنِ وَهِيَ تَهْتِفُ: «زَمْ.. زَمْ..».



شَرِبَتْ هَاجَرُ - عَلَيْهَا السَّلامُ - حَتَّى ارْتَوَتْ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهَا عَلَى رَضِيعِهَا، فَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا بِمُنْتَهَى الحَنَانِ وَالرَّحْمَةِ، وَوَضَعَتْ عَلَى جَبِينِهِ النَّاصِعِ قُبْلَةً دَافِئَةً، وَرَاحَتْ تَشْكُرُ اللهَ القَادِرَ، الرَّحِيمَ، وَتَدْعُوهُ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهَا أَنْ يُعِينَهَا عَلَى شُكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهَا وَلَدَهَا، وَيُبَارِكَ لَهَا فِيهِ.. وَأَنْ تَتَحَقَّقَ دَعْوَةُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الـمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.





هَا هُوَ الوَادِي القَفْرُ صَارَ عَامِرًا بِالبِشْرِ، إِنَّهَا قَبِيلَةُ جُرْهُمُ الَّذِينَ طَلَبُوا مِنْ هَاجَرَ - عَلَيْهَا السَّلامُ - أَنْ تَسْمَحَ لَهُمْ بِالنُّزُولِ بِجِوَارِ هَذِهِ العَينِ العَذْبَةِ، يَشْرَبُونَ مِنْ مَائِهَا وَيَسْقُونَ حَيَوَانَاتِهِمْ. وَافَقَتِ السَّيِّدَةُ هَاجَرُ، لَكِنَّهَا اشْتَرَطَتْ أَنَّ الْـمَاءَ خَاصٌّ بِهَا وَلا يَحِقُّ لأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَنَالَ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهَا، فَوَافَقُوا عَلَى ذَلِكَ.

وَهَكَذَا نَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ هَؤُلاءِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ هَاجَرُ - عَلَيْهَا السَّلامُ - تُلَقِّنُهُ الدُّرُوسَ وَالْعِبَرَ الَّتِي تَعَلَّمَتْهَا مِنْ أَبِيهِ نَبِيِّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ. فَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ؛ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الخَالِصِ.

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام بَارًّا بِأُمِّهِ.. شَدِيدَ البِرِّ بِهَا؛ وَلِمَ لَا؟ وَهُوَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ ﷻ لِيَكُونَ نَبِيًّا. وَلِمَ لَا؟ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَتَلَعْثَمْ أَوْ يَتَرَدَّدْ لَحْظَةً حِينَ قَالَ لَهُ أَبُوهُ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾. فَأَجَابَ عَلَى الفَوْرِ: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

أَيُّ صَبْرٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَضَعَ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام رَقَبَتَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى شَفْرَةِ السِّكِّينِ؛ لِيَجُودَ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ إِرْضَاءً لِوَالِدِهِ وَامْتِثَالًا لأَمْرِهِ الَّذِي هُوَ طَاعَةٌ للهِ ﷻ.. إِنَّهَا أُمُّهُ السَّيِّدَةُ هَاجَرُ - عَلَيْهَا السَّلامُ - الَّتِي غَرَسَتْ فِيهِ القِيَمَ وَالْمُثُلَ العَظِيمَةَ الرَّائِعَةَ.. فَكَانَتِ النَّجَاةُ مِنَ اللهِ بِالفِدَاءِ العَظِيمِ.

